

٥٠

الفصل الخامس

●● الانضباط .. التساهل والحدود

الشك الحديث ونتائجه :

ماهو الفرق بين طريقة أجدادنا وطريقتنا في تأديب الأطفال ؟

كل ما كان يفعله أجدادنا كانوا يفعلونه بثقة وقوة ، وكل ما نفعله نحن نفعله بحيرة وتردد . حتى في الخطأ ، كان أجدادنا يفعلونه بيقين ، في حين أننا ، حتى عندما نكون على حق ، نفعله في شك . من أين جاء شكنا بالنسبة إلى الأطفال ؟ كلنا قد سمعنا عن «فرويد» ، وعن التحليل النفسي ، والنتائج الباهظة للطفولة البائسة ، وكلنا نهتم بشكل كبير خشية أن ندمر أطفالنا ، أو نتسبب في ذلك مدى الحياة . إن الرسالة التالية من إحدى الأمهات توضح ذلك :

«غالباً ما أجد صعوبة في التعبير عن نفسي شفاهة في الأمور التي تؤثر في بعمق . لعلني أستطيع أن أكون أفضل في الكتابة . وإذا تركت أى شيء دون قوله ، فأنا أعرف أنك ستقدر على قراءته من بين السطور . لقد كنت كريماً لإتيانك نادينا للمشاركة في ندوة الآباء . إنني لم أستفد منها تماماً ؛ لأنني لم أتعلم ما فيه الكفاية بخصوص تنشئة الأطفال ، والشيء الذي أعجبت به هو قولك : إنك تعلم أنه لا يوجد أبوان يفعلان أشياء عن عمد لإيذاء أطفالهما عاطفياً . إنها يفعلان ذلك بشكل غير مقصود .

لا أحد منا يقدم عن قصد للقيام بأى شيء يشل أطفالنا نفسياً ، أو أخلاقياً ، أو عاطفياً ، ومع ذلك نفعل هذا تماماً . إنني أصرخ غالباً داخلياً لأشياء قد فعلتها وقتلتها بدون تفكير ، وأدعو الله ألا أكرر هذه الانتهاكات . لعلها لا تتكرر ، ولكن أمراً آخر في نفس السوء قد حل محلها ، حتى إنني أجن خوفاً من أنني أكون قد آذيت طفلي مدى الحياة » .

لا يستطيع أحد أن يشك في صدق وإخلاص هذه الأم .

إلا أنها ستكون مفيدة أكثر لو كانت أقل شعوراً بالذنب وأكثر مهارة . إننا قد لا نحس بالأمان مع طبيب يصرخ عند رؤية ذراع مكسورة أو يغمى عليه عند رؤية الدم . إننا نتوقع من الطبيب الكفاءة المهنية مع بعض الحنان ، لا انفعالية ونواحاً وبطريقة مماثلة يمكن للأبوين أن يتعلّما التعامل مع عدم نضج أطفالهما بطريقة شبه مهنية . وعندما يتم تناوّلها بدون عاطفة زائدة ، فكثير من الأزمات الانضباطية يتلاشى . أمّا عندما يتم تناوّلها بطريقة هستيرية فقد تصبح مشاكل خطيرة تنزل بالأبوين والطفل البلاء لسنين طويلة .

حاجات الآباء واستبداد الطفل :

يجب على الأب أن يحب أطفاله ، لكنه ليست لديه حاجة ملحة إلى أن يحبوه كل دقيقة وكل لحظة . إن هؤلاء الذين يحتاجون إلى الأطفال كي يستمدوا منهم تبريراً لزواجهم أو معنى لحياتهم لهم في خسران . وخوفاً من فقدان حب طفلهم فهم لا يجروّون على أن يرفضوا له أى شيء حتى التحكّم في البيت . وبإحساسهم لجوع الآباء للحب يستغل الأطفال ذلك بلا رحمة . ويصبحون مستبدّين طغاة يتحكمون في خدام قلقين . وكثير من الأطفال قد تعلّموا كيف يهددون أمهاتهم بسحب حبهم . ويستخدمون الابتزاز بشكل فظ . ويقولون :

- لن أحبك إذا أنت . .

إن المأساة ليست في تهديد الطفل ، ولكن في حقيقة أن الآباء يشعرون بالتهديد . وبعض الآباء يتأثرون فعلاً بكلمات الطفل : فيصرخون ويتوسلون إلى الطفل أن يظل محباً لهم ، ويحاولون أن يسترضوه بأن يكونوا أكثر تساهلاً .

التساهل والتساهل الزائد :

ماهو التساهل ؟ وماهو الإفراط فيه ؟ التساهل هو وضع لقبول صبيانية الأطفال .

ومعنى ذلك قبول أن «الأولاد سيكونون أولاداً» . وأن القميص النظيف الذى يرتديه الطفل العادى لن يظل نظيفاً مدة طويلة ، وأن الركض - وليس المشى - هو وسيلة تحرك الطفل وتنقله ، وأن الشجرة للتسلق ، والمرآة لتعبيرات الوجه من سخرية واشمئزاز وغيرهما .

إن جوهر التساهل هو قبول الأطفال كأشخاص لهم حق شرعى فى أن يكون لهم جميع أنواع المشاعر والرغبات .

حرية التمنى مطلقة وغير مقيدة ؛ جميع الأحاسيس والخيالات ، وجميع الأفكار والرغبات ، وجميع الأحلام والأمنيات ، بغض النظر عن مضمونها - مقبولة ومحترمة ، ومسموح التعبير عنها بالطرق الملائمة ، أما السلوك الهدام فلا يسمح به أصلاً ، وعندما يحدث ذلك ، يتدخل الآباء ويوجهونه وجهة جديدة نحو متنفسات شفوية ومسارات رمزية أخرى ، مثل تسجيل الانفعالات السيئة على أشرطة تسجيل أو نظم القصائد اللاذعة أو كتابة القصص البوليسية وقصص الجرائم أو الرسم والرياضة وبعض الألعاب والأعمال المجهدة ، الخ . والتساهل باختصار هو قبول السلوك التخيلي والرمزى .

أما التساهل الزائد فهو السماح بالأفعال غير المرغوب فيها ، والتساهل يجلب الثقة والقدرة المتزايدة فى التعبير عن المشاعر والأفكار ، أما التساهل المفرط فيجلب القلق والمطالب المتزايدة للامتيازات التى لا يمكن أن تمنح .

الطريقة الحديثة : معالجة مختلفة للمشاعر والأفعال :

إن حجر الزاوية للطريقة الحديثة للتأديب هو التمييز بين الرغبات والأفعال . إن معظم مشاكل التأديب تشتمل على جزئين : مشاعر غاضبة وأفعال غاضبة . وكل جزء لابد من تناوله بشكل مختلف . فالمشاعر لابد من إثباتها والتعبير عنها ، أما الأفعال فتُحصر ويعاد توجيهها .

وفى بعض الأحيان يكفى إثبات مشاعر الطفل لتصفية الجو :

الأم : يظهر أنك غاضب اليوم .

الإبن : بالتأكيد .

الأم : تشعر بنوع من الحسّة داخلياً .

الإبن : لقد قلتيها !

الأم : إنك حائق على أحد .

الابن : نعم . أنت .

الأم : قل لي : لماذا ؟

الإبن : إنك لم تأخذيني إلى الملاهي ، ولكنك أخذت ساحماً .

الأم : وهذا جعلك غاضباً . من المؤكد أنك قلت لنفسك : «إنها تحبه أكثر مما تحبني» .

الإبن : نعم .

الأم : وأحياناً تشعر بذلك فعلاً .

الإبن : بالطبع .

الأم : يا حبيبي ، عندما تشعر بذلك ، تعال وقل لي .

في أحيان أخرى ، يجب وضع قيود فورية . عندما أراد عُمر (أربع سنوات) أن يقطع ذيل القطة ، «ليرى ما بداخله» ، تقبّلت أمه فضوله العلمي ، ولكنها قيّدت فعله في حزم :

- أعرف أنك تريد أن ترى كيف يبدو من الداخل . ولكن الذيل لا بد أن يظل في مكانه . دعنا نحاول أن نجد صورة لثيّن لك كيف يبدو من الداخل .

وعندما وجدت الأم ، باهى (خمس سنوات) يرسم على حائط حجرة المعيشة ، كان رد فعلها الأول أن تصفعه . ولكنه بدا عليه الفزع لدرجة أنها أحجمت عن ضربه . وبدلاً من ذلك ، قالت له :

- لا ، يا باهى ، إن الجدران ليست للرسم . ارسم على الورق . ها هى ذى بعض الأوراق .

وبدأت الأم فى تنظيف الحائط . وتأثر باهى جداً بذلك وقال :

- أنا أحبك يا أمى !

لاحظ الفرق فى نفس الموقف فى بيت آخر :

- ماذا تفعل ؟ ما هذا الهباب ؟ ألا تعلم أن من المفروض أن تحافظ على نظافة الجدران ؟ طفل مُنقَر ، لا أدري ما الذى أفعله معك . انتظر حتى يأتى أبوك إلى البيت ، وسأقول له عن ذلك . وستلقى جزاءك !

التأديب : فى الماضى والحاضر :

هناك اختلاف كبير بين طريقة التأديب فى الماضى والحاضر : لقد اعتاد الآباء ، فى تأديب الطفل ، أن يوقفوا الأفعال غير المرغوب فيها ولكن كانوا يتجاهلون الحوافز التى أدت إلى هذه الأفعال . وكانت توضع القيود فى وسط الاحتدام الغاضب وغالباً ما كانت متنافرة ، متناقضة ، ومهينة ، علاوة على أن التأديب كان يتم فى وقت يكون فيه الطفل بعيداً كل البعد عن القدرة على الاستماع ، ولكلمات لاشك فى أنها تثير فيه المقاومة والعدوان . وغالباً ما يترك الطفل مع الانطباع المमित أنه ليس مجرد فعله الذى قد تم انتقاده ، بل هو كشخص غير صالح .

أما الطريق الحديثة فتساعد الطفل بكل مشاعره وسلوكه . فالآباء يسمحون للطفل (تحت شروط ستعرض لها فيما بعد) أن يُعبّر عما يشعر ، ولكنهم يقيدون الأفعال غير المحبوبة ويوجهونها ، وتوضع القيود بطريقة تحافظ على احترام الذات بالنسبة للآبوين ، وكذلك بالنسبة للطفل . وليست القيود مجحفة ولا هوائية ، بل تربوية وبناءة للشخصية .

وتطبق القيود بدون عنف أو غضب زائد . واستياء الطفل للقيود مقدّر ومفهوم ؛ ولا يعاقب ، بشكل إضافي ؛ لأنه لا يجب المحظورات .

وهكذا ، قد يؤدي التأديب المستخدم ، إلى القبول الإرادى من قبل الطفل للحاجة إلى كبح وتغيير بعض من سلوكه . وبذلك ، قد يؤدي التأديب الأبوى بالتالى إلى الانضباط النفسى . وبالتماثل مع الأبوين والقيم التى يشخصونها ، يحصل الطفل على معايير داخلية لانضباط النفس .

ثلاث مناطق للانضباط :

يحتاج الأطفال إلى تعريف بالسلوك المقبول وغير المقبول . إنهم يشعرون بأمان أكثر عندما يعرفون حدود الأفعال المسموح بها . وباستخدام تشبيه اقترحه الدكتور «فريتز ريدل» ، يمكننا أن نقول : إن سلوك الأطفال يقع فى ثلاث مناطق لونية . . أخضر ، وأصفر ، وأحمر : المنطقة الخضراء تحتوى على السلوك المطلوب والمجاز ، إنها المنطقة التى نعطى لها كلمة «نعم» بحرية وسماحة . والمنطقة الصفراء تتضمن السلوك غير المجاز ، ولكن يمكن السماح به لأسباب خاصة ، مثل :

١ - التفاوت المسموح به للمتعلمين . السائق الذى معه رخصة تعليم لا يأخذ مخالفة عندما يعطى إشارة يمين ، أو ينحرف لليساار . مثل هذه الأخطاء يسمح بها من أجل تحسّن الأداء المتوقع فى المستقبل .

٢ - التفاوت المسموح فى أوقات الشدة . مواقف عصيبة خاصة . . الحوادث ، المرض ، الانتقال إلى سكن جديد ، الانفصال عن الأصدقاء ، الموت أو الطلاق فى الأسرة

كل هذا يتطلب تفاوتاً ومسموحاً إضافياً . إننا نسمح به لتفهمنا للأوقات العصبية والأوضاع الجديدة . إننا لا نتظاهر بأننا نحب هذا السلوك؛ بل إننا نُفصح أن هذا السلوك مسموح به فقط بسبب الظروف الاستثنائية .

والمنطقة الحمراء تغطى السلوك الذى لايمكن السماح به على الإطلاق ، ويجب أن يوقف . وتتضمن هذه المنطقة السلوك الذى فيه خطر على الصحة وصالح الأسرة أو

كيانها وأوضاعها المالية . كما تتضمن أيضاً السلوك الممنوع لأسباب قانونية ، أو أخلاقية ، أو اجتماعية .

ومن المهم التمسك بالمنع في المنطقة الحمراء مثل التمسك بالسماح في المنطقة الخضراء . وعندما يسمح لطفل بسلوك يعرف أنه لا يجب السماح به يزداد اضطرابه وقلقه . طفل (ثمانى سنوات) قد سمح له بالتعلق بمؤخرة أتوبيس متحرك يتهم أمه بأنها لا تحبه :

- إذا كنت تهتمين بى حقاً ، لما تركتيني أجازف بهذا الشكل .

وطفل آخر أقر بأن أباه ليس لديه المعايير المضبوطة ؛ لأنه سمح له بأن يحمل «مطواة قرن غزال» . وطفل آخر فقد احترامه لوالديه ؛ لأنها لم يوقفا عبث إخوته بكتبه . إن الأطفال الصغار لديهم صعوبة حقيقية في التغلب على الدوافع غير المقبولة اجتماعياً . ويجب على الآباء أن يكونوا مغبراً لصراع الطفل من أجل التحكم في مثل هذه الدوافع . ويقدم الآباء مساعدة جليلة للطفل بوضع الحدود . والحدود بجانب إيقاف السلوك الخطير تعبر عن رسالة صامتة :

- لا داعى للخوف من دوافعك ؛ لأننى لن أدعك تتخطى المحظور . أنت في أمان .

فن وضع الحدود :

في وضع الحدود ، كما هو الحال في التربية كلها ، يعتمد الناتج على سير العمل . ويجب ذكر الحدود بكل وضوح ، ليعرف منها الطفل :

(أ) ما الذى يشكل السلوك غير المقبول .

(ب) ما هو البديل المقبول .

لايمكنك إلقاء الصحون ؛ يمكنك إلقاء الوسائد . أو بتعبير أكثر حسماً :

الصحون ليست للإلقاء ، الوسائد ممكن .

البيت ليس للعب الكرة ؛ لعب الكرة في الساحة .

من الأفضل لأى حد من الحدود أن يكون شاملاً قاطعاً ، فمثلاً يوجد فرق واضح بين رش الماء وعدم رش الماء على الأخت . فالحد الذى يذكر :

- يمكنك رش أختك بكمية ضئيلة من الماء ، طالما أنك لا تتسبب فى بللها كثيراً .

ذلك الحد يدعو إلى كثير من المشاكل . ومثل هذه العبارات المبهمة تترك الطفل فى حيرة ، وبدون معيار واضح لصنع القرارات .

ويجب أن يُذكر الحد بحزم ، حتى يحمل رسالة واحدة فقط للطفل :

- هذا المنع للتنفيذ . وأنا أقصد ذلك .

وعندما يكون أحد الأبوين غير متأكد مما يفعل ، فمن الأفضل ألا يفعل شيئاً سوى أن يفكر ويوضح مواقفه . والذى يتردد ، فى وضع الحدود ، سيضيع فى مناقشات لا نهاية لها . والقيود المنفذة بشكل أخرق وبطريقة عرجاء تصبح تحدياً للأطفال وتستدعى معركة للإرادات التى لا يستطيع أحد الفوز فيها ، ويجب أن يُذكر الحد بطريقة محسوبة بترؤ لتخفيض الاستياء للحد الأدنى ، ولحفظ احترام الذات . وعملية وضع الحد نفسها يجب أن تحمل فى طياتها السلطة ، لا الإهانة ، على أن يتعامل الحد مع حادثة معينة لا مع تاريخ تطورى . ومقاومة الإغراء بتنقية المشاكل بخبطة كبيرة واحدة . والمثال التالى يصور حالة غير مرغوب فيها :

إلهام (ثمانى سنوات) ذهبت مع أمها إلى أحد المحال الكبرى . وبينما كانت الأم تقوم باختيار مشترياتها ، انجذبت إلهام إلى قسم اللُّعب وانتقت ثلاث لعب . وعندما جاءت الأم سألتها إلهام بثقة :

- أى لعبة يمكن أن آخذها البيت ؟

فاندفعت الأم ، التى أنفقت لتوّها الكثير على ملابس ليست متأكدة أنها فى حاجة إليها ، قائلة بدون تفكير :

- لُعب أخرى ! إن لديك لُعباً لاتعرفين ماذا تفعلين بها . كل شىء تريده تريدين أن تشره ! لقد جاء الوقت لتتعلمي كبح شهوة الاقتناء .

وبعد دقيقة واحدة أدركت الأم مرجع غضبها المفاجىء ، وحاولت استرضاء ابنتها ورشوتها بأيس كريم . ولكن النظرة الأسفة ظلّت على وجه إلهام .

عندما يطلب الطفل شيئاً ما لانستطيع تحقيقه له ، يمكننا على الأقل أن نمنحه الارتياح باحتفاظه بالأمنية لهذا الشىء . وهكذا كان من الأفضل لأم إلهام أن تقول :

- إنك تتمنين أن تأخذى بعض اللعب للبيت .

- أكيد ، أنك تتمنين لو استطعت أخذ كل رف اللُعب للبيت . ولكن لاتوجد ميزانية لأى لعبة اليوم . ومع ذلك ، يمكنك أن تشتري بالونة أو قطعة حلوى . أيهما تختارين : البالونة أم قطعة الحلوى ؟

وربما تختار إلهام قطعة الحلوى ، وتنتهى كل هذه الواقعة إلى ذلك . أو ربما تبكى إلهام . وفى كلتا الحالتين ستلتزم الأم بقرارها . وقد تبين لها ثانية تفهّمها بإظهار رغبة ابنتها فى اللعب . . . ولكن لابد من تدعيم الحد .

- إنك تودين الحصول على اللُعب . إنك تريدينها جداً . وتبكين لتظهرى لى ذلك . أعرف ، يا حبيبتي ، ولكن ليس اليوم .

توجد طرق مختلفة لصياغة الحدود المعينة . وأحياناً قد تكون الخطوات المتعاقبة التالية مؤثرة :

١ - يعترف الأب أو الأم برغبة الطفل ، ويُصيغانها فى كلمات بسيطة :

- إنك ترغب - لو استطعت - فى الذهاب إلى السينما الليلة .

٢ - يذكر بوضوح حدود الفعل المعين :

- ولكن القاعدة فى منزلنا هى لا ذهاب للسينما فى أيام المدرسة .

٣ - يسير إلى طرق يمكن بها تحقيق الرغبة ولو جزئياً على الأقل :

- يمكنك الذهاب إلى السينما يوم الخميس أو الجمعة .
- ٤ - يساعد الطفل ليعبر عن بعض الاستياء الذى قد ينشأ عن سرد القيود :
- من الواضح أنك لا تحب القاعدة .
- إنك تتمنى عدم وجود مثل هذه القاعدة .
- إنك تتمنى لو كانت القاعدة تقول : كل ليلة سينما .
- عندما تكبر وتكون فى بيتك ، ستغير هذه القاعدة بالتأكيد .
- وليس من الضرورى أو من العقول أن تصوغ الحد بهذا الشكل دائماً . فأحياناً ، من الضرورى ذكر الحد أولاً ، ثم توضيح المشاعر فيما بعد . عندما يوشك طفل أن يرمى أخته بحجر ، فالأم يجب أن تقول :
- ليس عليها ، على الشجرة !
- وستُحسن لو وجهت الطفل وأشارت فى اتجاه الشجرة . ثم تأتى بعد ذلك إلى المشاعر ، وتقترح بعض الطرق غير المؤذية للتعبير عنها :
- يمكنك أن تغضب من أختك كما تشاء .
- يمكنك أن تنثور . وفى داخلك قد تكرهها ، ولكن دون إيذاء .
- وإذا أردت ، يمكن إلقاء الحجارة على الشجرة وتظاهر بأنها أختك .
- وإذا أردت ، يمكنك أيضاً رسم وجهها على ورقة ، وثبتها على الشجرة ، ثم ألق الحجارة ؛ ولكن يجب عدم إيذاء أختك .
- ويجب صياغة الحدود فى لغة لا تتحدى احترام الطفل لذاته . . والحدود تلفت الانتباه بشكل أفضل عندما تذكر بشكل محكم وغير شخصى :
- لا ذهاب للسينما فى أيام المدرسة .
- تثير استياء أقل من :

- تعرف أنك لا تستطيع الذهاب للسينما في أيام المدرسة .

- هذا وقت النوم .

تُقبل باستعداد أكثر من :

- إنك صغير جداً حتى تظل مستيقظاً إلى الآن . اذهب إلى فراشك .

- انتهى وقت التلفزيون اليوم .

أفضل من :

- لقد شاهدت ما فيه الكفاية اليوم . أغلق التلفزيون .

- لا أحد يصيح في أحد .

يمكن تقبلها وطاعتها عن :

- من الأفضل لك ألا تصيح فيه .

إن الحدود تقبل بطوعية أكثر عندما تشير إلى وظيفة شيء ما :

- الكرسي للجلوس لا للوقوف عليه .

أفضل من :

- لا تقف على الكرسي .

- هذه المكعبات للعب لا للرمى .

أفضل من :

- لا ترم المكعبات .

أو- أنا آسفة جداً- لايمكن أن أدعك ترمى المكعبات ، إن هذا خطر جداً .

مشاكل الانضباط والنشاط البدني :

كثير من مشاكل الانضباط مع الأطفال الصغار تنشأ من كبح الأنشطة البدنية .

- لا تركض . . . ألا تستطيع أن تمشى كالطفل الطبيعي ؟

- لا تقفز .

- اجلس معتدلاً .

- لماذا تقف على قدم واحدة وأنت تعلم أن لديك قدمين ؟

- ستسقط وتكسر ساقك .

يجب عدم كبت أنشطة الأطفال الحركية . ومن أجل كل من الصحة العقلية والبدنية فالأطفال يحتاجون إلى الجرى ، والقفز ، والتسلق ، والوثب ، الخ . أما بالنسبة لسلامة الأثاث فهذا شيء مفهوم ، ولكن يجب ألا يبطل اهتمامنا بسلامة الأطفال . ومنع النشاط البدني للأطفال الصغار ينتج توتراً عاطفياً يؤدي إلى نشاط مفرط وعدواني .

إن ترتيب ظروف بيئة مناسبة لتفريغ مباشر للطاقة في شكل أنشطة عضلية - شرط أولى - من أجل انضباط جيد بالنسبة للأطفال ولحياة أيسر بالنسبة للآباء ، ولكننا كثيراً ما نغفله .

الإلزام بالانضباط :

عندما تكون مشاعر الآباء إزاء القيود واضحة تماماً ، والقيود مصوغة بلغة مسالمة ، فعادة ما يطيع الطفل . ومع ذلك ، فمن وقت لآخر ، سيكسر الطفل القاعدة . والسؤال هو :

ماذا نفعل عندما يتجاوز الطفل حداً مقررأ أو عندما يخالف محظوراً بين المعالم ؟

إن الإجراء التربوي يتطلب أن يلتزم الأب أو الأم بدور الإنسان الناضج بعطف ولكن بحزم . وفي رد الفعل على طفل انتهك حداً من الحدود فعلى الآباء ألا يصبحوا مجادلين مطنين ، ويجب ألا ينزلقوا إلى مناقشة عن مناسبة هذا الحد أو عدم مناسبة .

كما يجب ألا يعطى شرحاً طويلاً له . ومن غير الضروري أن نشرح للطفل : لماذا يجب ألا يضرب أخته ، . سوى أن نقول :

- الناس ليسوا للإيذاء .

أو لماذا يجب ألا يكسر النافذة ، سوى أن نقول :

- النوافذ ليست للكسر .

وعندما يتهاذى الطفل عن الحد ، يتزايد قلقه ؛ لأنه يتوقع الردع والعقاب . فلا حاجة للآباء أن يزيدوا قلق الطفل في هذا الوقت . وإذا تحدث الآباء كثيراً ، فسيعلنون بذلك عن ضعفهم . . في وقت يجب أن يعلنوا فيه عن القوة . والطفل يحتاج في أوقات كهذه إلى حليف كبير ليساعده في التحكم في دوافعه دون فقدان ماء الوجه . ويصور المثال التالى طريقة غير مرغوب فيها في وضع الحدود :

الأم : يظهر أنك لن ترتاح حتى ترانى أصرخ . [تصرخ بصوت عال وفي هياج]
كفاية . . وإلاّ والله العظيم سأخرج منك العفاريت الزرق ! وإذا ألقيت بشيء آخر ، فسترى ما سأفعله معك !

كان يمكن للأم ، بدلاً من استخدام التهديد والوعيد ، أن تعبّر عن غضبها الحقيقى بشكل مؤثر أكثر :

- إننى أكاد أجن عندما أرى ذلك !

- إن هذا يُغضبنى !

- إن هذا يثير أعصابى !

- هذه الأشياء ليست للرمى ! أما الكرة فهي للرمى !

وفى وضع قيد موضع التنفيذ ، يجب على الآباء أن يكونوا حريصين ألا يبدأوا معركة للإرادات .

جيهان (في الملعب) : أنا أحب الملعب ، إننى لن أذهب إلى البيت الآن . سأتبقى ساعة أخرى .

الأب : أنت تقولين ذلك ، ولكن أنا أقول : لا .

إن مثل هذه الصيغة قد تؤدي إلى إحدى نتيجتين ، كلتاها غير مُحَبَّبة : هزيمة للطفل أو هزيمة للأب . والطريقة الأفضل هى فى التركيز على رغبة الطفلة للبقاء فى الملعب ، بدلاً من تهديدها لتحديها الأمر . فعلى سبيل المثال ، كان من الممكن للأب أن يقول :

- أرى أنك تحبّين الملعب ، أظن أنك تتمنين لو استطعت البقاء مدة أطول ، حتى مدة عشر ساعات . ولكن الوقت بالنسبة لليوم انتهى . والآن يجب أن نمشى .

وإذا مرّت دقيقة أو اثنتان ومازالت جيهان تصر على موقفها ، فيمكن للأب أن يأخذها من يدها ، ويخرج بها من الملعب . إن الفعل ، مع الأطفال الصغار ، كثيراً ما يتحدث بصوت أعلى من الكلمات .

الآباء ليسوا للركل :

يجب ألا يسمح للطفل مطلقاً بضرب أبويه . إن مثل هذه التهجّمات البدنية تكون ضارة لكل من الطفل والأبوين . إنها تجعل الطفل يشعر بالقلق والخوف من الرد بالمثل . وتجعل الأبوين يشعرون بالغضب والكراهية . إن حظر الضرب وتحريمه شيء ضرورى لتجنب الطفل الشعور بالذنب والقلق ، ولمساعدة الآباء أن يظلوا منفتحين عاطفياً للطفل .

إننا نشاهد ، من وقت لآخر ، مناظر مؤذية لبعض الأمهات يحاولن الهرب ، مثلاً ، من رفس الطفل لهن على الساق ، فيقترحن أن يضربوهن على أيديهن بدلاً من ساقهن : - يمكنك أن تضربنى بخفّة ، لكن يجب عليك ألا تؤلّنى فعلاً .

هذا ما كانت تتوسل به أم فى الثلاثين من عمرها لطفل عمره أربع سنوات ، باسطة له ذراعها .

إن المرء يقاوم الإغراء في التدخل ليقول لها :

- لاتفعلى هذا يا سيدتى . إنه سيكون أقل ضرراً لو أنك ضربتبه بدلاً من أن يضربك هو .

كان يجب على الأم أن توقف تهجم الطفل على الفور :

- لاتضرب . أنا لن أسمح لك أن تفعل ذلك على الإطلاق !

- إذا كنت غاضباً ، فقل لى هذا بالكلمات !

- إن الحد ضد ضرب الآباء يجب عدم التساهل فيه تحت أى ظرف من الظروف . إن التربية المؤثرة مبنية على الاحترام المتبادل بين الأبوين والطفل بدون أن يتنازل الأبوان عن دوريهما . وعند إخبار الطفل أنه يمكنه أن يضرب ، ولكن بدون إيلاام ، فالأم تطلب منه عندئذ أن يقوم بعمل تمييزى دقيق جداً ، فيدخل الطفل فى تحدّ لايقاوم لإخضاع المحظور تحت الاختبار ، واكتشاف الفرق بين الضرب المازح والضرب المؤلم .

الضرب على المؤخرة (*) :

بالرغم من أن لهذا الضرب سمعته السيئة ، فإنه طريقة شائعة فى التأثير على الأطفال . إنه عادة ما يطبق على الأطفال كملاذ أخير ، بعدما تفشل أسلحة التهديد والحجج المألوفة فى إصابة الهدف . وكثيراً ما يتم بدون تخطيط ، ولكنه يحدث فى نوبة غضب عندما نصل إلى نهاية تحملنا . ويبدو الضرب على المؤخرة فعالاً فى وقته : فهو يهدىء التوتر المكبوت فى الآباء ويجعل الطفل مطيعاً لفترة على الأقل . وكما يقول بعض الآباء :

- إنه يُنقى الجو .

إذا كان الضرب على المؤخرة فعالاً هكذا ، فلماذا تكون لدينا مثل هذه المشاعر القلقة

* لا يعترف المجتمع الأمريكى إلا بهذا النوع من الضرب كعقاب بدنى . المترجم .

إزاءه ؟ إننا لانستطيع أن نُسكت شكوكنا الداخلية بخصوص الآثار طويلة المدى للعقاب البدنى . إننا نشعر ببعض الارتباك باستخدام القوة ، ونظّل نقول لأنفسنا :
- لابد من وجود طريقة أفضل لحل المشاكل .

إن الخطأ فى الضرب على المؤخرة هو الدرس الذى يعلمه . إنه يعلم الأطفال طرقاً غير محبوبة فى التعامل مع الإحباط . إنه يقول لهم بشكل مأساوى :
- عندما تكون غاضباً . . . اضرب !

وبدلاً من إبراز براعتنا فى إيجاد مخرج متحضر لمشاعرنا الضارة ، نعطى أطفالنا مذاقاً للغاية .

ومن أحد الأعراض الجانبية السيئة للعقاب البدنى أنه قد يتدخل فى نمو وعى الطفل . إن الضرب على المؤخرة يزيل الشعور بالذنب بسهولة جداً : فالطفل بعدما يدفع ثمن سوء سلوكه ، يشعر بأنه حر فى تكراره . فتنمى فى الأطفال ما تسميه «سلمى فرايبرج» Selma Fraiberg فى كتابها «السنوات الساهرة» «طريقة إمساك الدفاتر» لسوء التصرف : إنه يسمح لهم أن يسيئوا التصرف ، على أن يدفعوا مقابل ذلك أقساطاً أسبوعية أو شهرية من الضرب . ويتحرشون بأبائهم من وقت لآخر لضربهم .

والطفل الذى يطالب بالعقاب يحتاج إلى مساعدة فى التحكم فى شعوره بالذنب والغضب ، لا الإذعان لطلبه . وهذه ليست مهمة سهلة : فى بعض المواقف ، يمكن الإقلال من الذنب والغضب عن طريق مناقشة الآثام بشكل صريح . وفى مواقف أخرى تحتاج دوافع الطفل أن نقبلها بدون نقد ، مع وضع حدود على أفعاله . ويمكن عندئذ توجيه دوافع الطفل إلى متنفسات رمزية مقبولة . وعندما نعطى الطفل طرقاً أفضل للتعبير عن الذنب والغضب ، وعندما نتعلم نحن الآباء طرقاً أفضل لوضع الحدود وتنفيذها ، ستتقلص الحاجة إلى العقوبة البدنية .